مقدّمة

ترددت كثيراً في تأليف كتاب عن النظرية الاجتماعية، لا لكونها أعقد مادة في علم الاجتماع فقط، وإنما لكون التأليف لطلبة الجامعة المفتوحة أكثر تعقيداً وصعوبة، وتحتاج إلى مهارة كتابية من النوع الخاص، وإلى استيعاب أكثر لعقلية المتلقي، وظروفه التعليمية المرتبطة بنوع التعليم الذي يتلقاه بعيداً عن قاعات الدرس، وإسهامات الأستاذ في التحليل والمراجعة والتبسيط.

ولعل ما شجعني على تأليف هذا الكتاب والمراجعة أكثر من عامل:

الأول: التلقي الإيجابي الذي وجدته من قبل الطلبة في تجربتي السابقة في تأليف مادة الفكر الاجتماعي، واستيعابهم للطريقة والأسلوب والمنهج الذي كتبته لهم، والمقترن ببساطة اللغة والفكرة، مع الحفاظ على الرصانة العلميّة في الكتابة.

الثاني: أن مادة النظريات الاجتماعية من الناحية المنهجية والفكرية والتاريخية ينبغي أن تأتي في سياق منظم مع مادة الفكر الاجتماعي. وهذا العمل يمثل حصيلة اهتمام متصل بمادة الفكر الاجتماعي ومن ثم النظرية الاجتماعية. ومن الصعب على الباحث أن يكتب في النظرية الاجتماعية دون أن يمتلك شروط الاستيعاب لتراث الفكر الاجتماعي وتطوره.

الثالث: لم أجد الكتاب المناسب الذي يتناسب مع عقلية طلبة الجامعة المفتوحة ومداركهم المعرفية. فهناك الكثير من الكتب في النظريات الاجتماعية المكتوبة بلغة الاختصاص الدقيق. ولا يوجد كتاب في النظرية الاجتماعية يلبي حاجات الطلبة الذين يتعلمون عن بعد.

ولهذا فإن الكتاب يسعى لتحقيق أكثر من هدف: محاولة تتبع تطور النظرية الاجتماعية عبر حقب زمنية متتالية تبدأ من تاريخ نشوء علم الاجتماع حتى فترة العصر الحديث ـ أي فترة نشوء الاتجاه النقدي في علم الاجتماع. كما نحاول تحليل العوامل البنائية والفكرية التي ساعدت في نشوء النظرية الاجتماعية، وتشريح الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي ساعدت على بلورتها، مع تحليل نقدي لمضامينها الاجتماعية.

ولا بد من الإشارة هنا إلى توضيح بعض الحقائق المنهجية والفكرية المرتبطة بالعمل وهي:

1 ـ إن تاريخ النظرية الاجتماعية يمثل تراكماً فكرياً ومعرفياً وحضارياً. وهو تاريخ كبير وشامل لا يمكن تلخيصه في كتاب واحد، ولا بأفكار محدّدة. غير أن هذا الكتاب مقيّد ضمن شروط فلسفة الجامعة المفتوحة التي تريد للطالب أن يتعرّف على الاتجاهات العامة للمادة دون الدخول في التفاصيل.

2 ـ هناك أكثر من ألف عالم اجتماع اهتموا بالنظرية الاجتماعية، ومن الصعب تناولهم جميعاً. لذلك اكتفينا بالأبرز منهم والأكثر عطاءً وتميزاً في النظرية. وقمنا باختيار نماذج يمثلون الريادية والحداثة بقصد معرفة الاتجاهين وتطورهما.

3 ـ وجدنا صعوبة كبيرة في تأليف هذا الكتاب، وذلك لأسباب تعود إلى ندرة المصادر وخاصة في النظرية الاجتماعية الحديثة، وبالذات النقدية منها. لهذا سوف يجد القارىء بأننا اعتمدنا على بعض المؤلفات الرصينة التي لا تتعدى أحياناً عدّة مصادر، كما هو في الفصول الأخيرة.

4 ـ واجهتنا صعوبة كبيرة في اختصار مادة الكتاب المتعلقة بمضمون النظريات وتعقيداتها بقصد تسهيلها للطالب دون أن تؤثر على رصانة الفكرة ومضمونها. وهذا ما جعلنا نستخدم أكثر من أسلوب: عرض الأفكار

بشكل نقاط، الاعتماد على الخلاصات المتكررة، تلخيص الأفكار والفصول، وطرح نماذج من الأسئلة للمراجعة والمناقشة، ومن ثم الاعتماد على الخلاصات الختامية والنتائج.

ولتحقيق كل الأهداف السابقة قسم الكتاب إلى ثمانية فصول. يتناول الفصل الأول: مدخلاً عاماً في النظرية الاجتماعية (علاقة العلم بتكوين النظرية، مفهوم وبناء النظرية الاجتماعية، أهداف ووظائف النظرية في علم الاجتماع، وخلاصة ونتائج). والفصل الثاني: البدايات الأولى لنشأة نظرية علم الاجتماع (مدرسة العقد الاجتماعي، وفيكو وفلسفة التاريخ، منتسكيو وفلسفة القانون، وإسهامات المدارس في تكوين النظرية). والفصل الثالث: الاتجاه العضوي (الجذور التاريخية للفكر الوضعي وتطوره، كونت وتبلور علم الاجتماع الوضعي، وسبنسر والاتجاه التطوري وعلم الاجتماع الوضعي، دوركهايم ونقد الاتجاه الوضعي، وخلاصة ونتائج). والفصل الرابع الاتجاه الصراعي (الجذور التاريخية للفكر الصراعي وتطوره، كارل ماركس والبعد الاجتماعي للمادية التاريخية، ورالف دهرندورف وسوسيولوجيا الصراع والحتمية السياسيّة، وخلاصة ونتائج). والفصل الخامس: الاتجاه البنائي الوظيفي (الجذور التاريخية للفكر البنائي الوظيفي وتطوره، ماكس ڤيبر والفعل الاجتماعي وتالكوت بارسونز ونظرية نسق الفعل الاجتماعي، وخلاصة ونتائج). أما الفصل السادس فيتناول: إتجاه التفاعل الرمزي (الجذور التاريخية لفكر التفاعل الرمزي وتطوره، جورج هيربت ميد والذات والمجتمع، إيرفنك جوفمان ومسرح الحياة اليومية، كولي والذات المنعكسة، خلاصة ونتائج). الفصل السابع: إتجاه الظاهراتية (المفهوم العام للنظرية الظاهراتية وتطورها، ادموند هوسرل والفينومينولوجيا المثالية، وألفرد شوتز وفينومينولوجيا الحياة اليومية، وخلاصة ونتائج). أما الفصل الثامن والأخير: الاتجاه النقدي الحديث (الإطار الفكري والبنائي للاتجاهات النقدية، رايت ميلز والخيال السوسيولوجي، ألفن جولدنر والتأمل السوسيولوجي، ومدرسة فرانكفورت:

هايبرماس نموذجاً، وخلاصة ونتائج).

وختاماً أرجو من الله التوفيق في ما أنجزته، وشكري الكبير للدكتور علي البشتي رئيس قسم الاجتماع والهندسة الاجتماعية في الجامعة المفتوحة على تشجيعه لنا لتأليف هذا الكتاب. كما أشكر الجامعة المفتوحة على ثقتها بنا، وحرصها على إنجاز هذا الكتاب ليكون مرجعاً علمياً لطلبتها. ولا يسعني أيضاً إلاّ أن أشكر موظفي مكتبة الجامعة الأردنية في عمان على ما قدموه لي من مصادر باللغة العربية والإنكليزية. وشكري للجميع، وخاصة عائلتي التي وفرت لي جميع مستلزمات القراءة والكتابة.

وبالله التوفيق

د. ياس خضير البياتي

طرابلس ـ ليبيا

15 ـ 2 ـ 2002